

العنف في الرواية الجزائرية المعاصرة – أغالب مجرى النهر لسعيد خطيبي

- أنموذجا -

Violence in the Contemporary Algerian Novel: Said Khatibi's *I Struggle Against the River Flow* as a Case Studyخديجة ميهوبي¹¹ المركز الجامعي آفلو (الجزائر)، k.mihoubi@cu-aflou.edu.dz

تاريخ الاستلام: 2026/05/26 تاريخ القبول: 2026/07/08 تاريخ النشر: 2026/10/01

ملخص:

تمكّنت الرواية منذ بداياتها التعبير عن هموم الإنسان الفردية والجماعية، واستيعاب التحوّلات التي يشهدها الواقع، إذ لم تعد مجرد سردٍ لحكاية متخيّلة، بل غدت فضاءً يعكس قضايا المجتمع ويجسّد تناقضاته. ومن أبرز القضايا الإنسانية التي شغلت الرواية قضية العنف، بوصفها ظاهرة رافقت الإنسان عبر مختلف المراحل التاريخية، فحضرت بوضوح في الرواية العربية عامة، والرواية الجزائرية خاصة. وتعدّ رواية أغالب مجرى النهر لسعيد خطيبي من الروايات المعاصرة التي تجسّدت فيها مظاهر العنف، وهو ما تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف عليه من خلال تتبع تجلّيات العنف والكشف عن أنواع وأشكال وتمثّلاته. كلمات مفتاحية: العنف، أنواع العنف، أشكال العنف، الرواية الجزائرية، أغالب مجرى النهر، سعيد خطيبي

Abstract :

Since its inception, the novel has successfully articulated both individual and collective human concerns, demonstrating a profound capacity to assimilate the various transformations witnessed in reality. It is no longer a mere vehicle for fictional narration ; rather, it has evolved into a discursive space that reflects societal issues and embodies their inherent contradictions. Among the most prominent humanitarian issues explored within this genre is the phenomenon of violence, which has perpetually accompanied the human condition across diverse historical epochs, manifesting prominently in the Arabic novel in general and the Algerian novel in particular.

Said Khatibi's novel, *I Struggle Against the River Flow* stands as a contemporary exemplar in which manifestations of violence are vividly crystallized. This study seeks to investigate these occurrences by tracing the manifestations of violence and elucidating its various types, forms, and symbolic representations.

Keywords: Violence, Types of Violence, Forms of Violence, Algerian Novel, *I Struggle Against the River Flow*, Said Khatibi.

*المؤلف المرسل: خديجة ميهوبي

1. مقدمة:

ظاهرة العنف من الظواهر الإنسانية المعقدة التي رافقت المجتمعات عبر مختلف المراحل التاريخية، ارتبط العنف بالصراعات السياسية والاجتماعية والتفسيّة تاركا أثارا سلبية لا تُعدّ ولا تُحصى على حياة الأفراد والمجتمعات، ولهذا انكبّت عليها الدّراسات في مختلف الاختصاصات من أجل معالجتها.

انعكست هذه الظّاهرة بشكل واضح على الأدب عامة، والرواية خاصّة، باعتبارها مرآة للواقع وفضاء لتجسيد التحوّلات والأزمات الإنسانية. ومن هذا المنطلق، اهتمّت الرواية الجزائرية بتصوير العنف بمختلف أنواعه، وأشكاله ومثّله بتمثّلات مختلفة، متأثرة بالظروف التاريخية والسياسية والاجتماعية التي عاشها المجتمع الجزائري.

ومن بين الروايات الجزائرية المعاصرة التي تعدّ تيمة العنف تيمة طافحة داخل متنها، رواية أغالب مجرى النهر لسعيد خطيبي، فالمطلّع على الرواية يتلمّس تيمة العنف متغلغلة الجذور داخلها، فهو متواجدة بأنواع وأشكال مختلفة، و من هنا تبلور لنا الإشكالية الرئيسية في كيف تجلّى العنف في رواية أغالب مجرى النهر؟ ومن هذه الإشكالية الرئيسية تنفرّع لنا عدّة تساؤلات فرعية منها:

كيف انعكس العنف في العنوان؟ هل كان للعنف دور في تصعيد الأحداث؟ ما هي أنواع العنف؟ ما هي أشكاله، وكيف تمثّل في رواية أغالب مجرى النهر؟ للإجابة عن هذه الإشكالية الرئيسية وغيرها من التساؤلات اعتمدنا على مقارنة وصفية تحليلية.

تهدف هذه الدّراسة للإجابة عن الإشكالية الرئيسية، وغيرها من الأسئلة الفرعية، كذا معرفة إن كان العنف في رواية أغالب مجر النهر مجرد عنصر عابر داخل الأحداث، أو بنية أساسية أسهمت في بناء العالم الروائي وتوجيه مسار السرد في الرواية.

2. مفهوم العنف:

2.1 لغة:

ورد في اللّسان «الحزم بالأمر وعدم الرّفق به، وهو ضدّ الرّفق، عنف به وعليه يعنف عنفا وعنافة و أعنفه وعنفه تعنيفا وهو عنيف إذ لم يكن رفيقا في أمره (...) وأعنف الشيء أي أخذه بشدّة » (منظور أ.، 2003، صفحة 304)

ويعرّف العنف بأنّه مضاد للرّفق، ومرادف للشدّة والقسوة، والعنيف هو المتّصف بالعنف، فكلّ فعل شديد يخالف طبيعة الشيء، ويكون مفروض عليه من الخارج، فهو بمعنى ما عنيف(صليبيّا، المعجم الفلسفي الألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية ، 1982، صفحة 112)، فالعنف في معناه اللّغوي عكس الرّفق واللّين، يرتبط باستعمال القوّة.

2.2 اصطلاحا:

يعرّف أندري لالاند (André Laland) العنف أنّه كلّ «ما يفرض نفسه على الكائن، خلافاً لطبيعته» (لالاند، 2001، صفحة 1555)، فهو فرض شيء قصرًا.

وإذا ما عرّفنا العنف بشكل أبسط يمكن القول أنّ «العنف في أبسط معانيه الاجتماعية وأشدّها وضوحاً يمكن تعريفه على أنّه الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر الماديّ أو البدنيّ ابتغاء تحقيق غايات شخصية أو جماعية». (رضا، 1974، صفحة 147).

يُعدّ العنف سلوكاً عدوانياً يقوم على استعمال القوة قولاً أو فعلاً، يتسبّب في إلحاق الأذى بالآخر أو التّسبّب له في ضرر، سواء كان ذلك بشكلٍ ماديّ أو معنويّ، أو على شكل عمل تخريبيّ لممتلكاته فالعنف إذا «كلّ أذى (مادي، ومعنوي) يلحق بالأشخاص أو الهيئات أو الممتلكات» (حوالدة، 2005، صفحة 44). أنواع العنف:

من بين أهمّ أنواع العنف نذكر ما يلي:

1.3 العنف ضدّ الذات:

هو سلوك عدوانيّ يمارسه الفرد تجاه نفسه، فيلحق بها أذىً جسدياً أو نفسيّاً، ويتجلّى في مظاهر متعدّدة كإيذاء النّفس أو الانتحار ومحاولاته.

2.3 العنف الأسريّ:

هو كلّ سلوك أو فعل يؤدّي إلى إيذاء شخص داخل إطار العلاقات الأسريّة، غالباً ما تكون الضّحيّة الأولى في هذا العنف المرأة أو الأطفال، كتعنيف الزّوج للزّوجة، أو تعنيف الأبناء للأب، أو عنف مسلّط ضدّ الأبناء.

3.3 العنف الاجتماعيّ:

هو أيّ سلوك عدوانيّ يمارسه فرد، أو مجموعة من الأفراد لإلحاق الأذى بغيرهم، فهو بين أفراد المجتمع ضدّ بعضهم البعض مثل عصابات الشّوارع، السرقة... الخ، يؤدّي إلى تفكّك المجتمعات.

4.3 العنف السياسيّ:

هو استخدام القوّة أو التّهديد باستعمالها، لتحقيق أهداف سياسيّة، قد يشمل الاغتيالات، القمع، أو التّرهيب، التّعذيب، وغالباً ما «تحتصر الرّواية القمع السياسيّ في السّلطة، وأسلوبها في التّعامل مع الخصوم السياسيين والنّاس عامّة» (حبيلة، 2010، صفحة 183).

5.3 التّطرّف:

وهو «انتهاك للقيم الاجتماعية والسياسية القائمة، ويتدرّج هذا الانتهاك من مجرد الخروج عن الفكر والأيدولوجية السّائدة إلى صورة أكثر تجسّداً كما في أعمال العنف التي تمارسها الجماعات المتطرّفة» (فؤاد، 1988، صفحة 84)، فالّتطرّف يبدأ بالخروج عن الفكر السّائد، بعدها يتحوّل لعنف، وهذا لفرض تلك الأفكار والأيدولوجيات، المخالفة لما هو متعارف عليه بين أفراد المجتمع بالقوّة، وغالباً ما يكون الهدف الرّئيسيّ منه هو الوصول لسلطة، مثل الأعمال الإرهابيّة.

6.3 العنف الهيكليّ:

هو العنف الذي تقوم به البنى أو المؤسّسات الاجتماعية، مسببةً ضرراً لأفراد المجتمع من خلال منعهم من تلبية احتياجاتهم الأساسيّة أو حقوقهم، كالتمييز الجنسيّ، التّمييز الطّبقيّ.

7.3 العنف الرمزي:

هو نمط من أنماط الهيمنة غير المباشرة التي تُمارَس عبر اللّغة والرموز والقيم والعادات الاجتماعية، ويتجلى هذا العنف في قدرة المؤسسات الاجتماعية، كالدولة والمدرسة ووسائل الإعلام، على فرض تصوّرات وأنماط سلوك معيّنة على الأفراد، بحيث يتقبّلونها دون وعي أو اعتراض، لأنّها تُقدّم لهم بوصفها أمورا طبيعية وبديهية.

ولا يُنظر إلى العنف الرمزي باعتباره قهرا واضحا، بل يُستبطن على أنّه أمر بديهي ومنطقي، إذ يُمارَس من خلال أدوات مثل التعليم واللّغة والشرعية الثقافية، ممّا يؤدي إلى ترسيخ التّفوّق الاجتماعي لبعض الفئات التي تُعدّ أكثر ثقافة أو مكانة نتيجة تبنيها معايير وقيم المجتمع السائدة، مثلا إنّ أيّ نشاط تربويّ هو موضوعيّ نوع من العنف الرمزي، وذلك بوصفه فرضا من قبل جهة متعسّفة لتعسّف ثقافيّ معيّن (بورديو، 1994، صفحة 7).

3. أشكال العنف و تمثلاته:

تتعدّد أشكال العنف التي تندرج تحت كلّ نوع، منها المادّي ومنها المعنويّ، وهذا حسب وسائل الإيذاء وآثاره، إذ يتجلى العنف الماديّ في العنف الجسديّ من خلال استعمال القوّة البدنيّة كالضرب والتّعذيب والقتل، أو العنف الجنسيّ كالتهرّش والاعتداء على الممتلكات، بينما يتجلى العنف المعنويّ في العنف اللفظيّ في السّبّ والشتم والإهانة والتهديد. والعنف النفسيّ المتمثّل في التخويف والإذلال والتهميش، التّرهيب، التلاعب بالمشاعر، والعنف الرمزيّ.

4. تجلّيات العنف في رواية أغالب مجرى النهر:

1.5 تجلّيات العنف في العنوان:

يُعدّ العنوان من أبرز العناصر التي تستوقف المتلقّي منذ الوهلة الأولى، إذ يؤدي وظيفة دلاليّة وإيحائيّة تسهم في توجيه القراءة وتأطير أفق التلقّي. فهو حلقة وصل بين المبدع والقارئ، وجسر للنفاذ إلى العالم الدّاخلي للنصّ، فهو بمثابة «المفتاح الإجرائي الذي يمدّنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فكّ رموز النصّ وتسهيل مأموريّة الدّخول في أغواره وتشعّباته الوعرة» (حمداوي، 1997، صفحة 90) ولهذا، فلا يمكن عزله عن النصّ، فالعنوان يستطيع «أنّ يقوم بتفكيك النصّ من أجل تركيبه، وذلك عبر استكناه بنياته، الدلاليّة والرمزيّة، وأنّ يضيء لنا، في بداية الأمر، ما أشكل من النصّ وغمض» (حمداوي، 1997، صفحة 96)، فمن خلاله يستشفّ الباحث العالم الدلاليّ للنصّ، بوصفه عتبة أولى تكشف جانباً من فحواه.

العنوان في رواية أغالب مجرى التهر يتكوّن من ثلاث وحدات معجمية وهي

الوحدة اللغوية	المعنى اللغوي	التحليل النحوي
أغالب	رجل غالب من قوم غلبة، وغالب من قوم غلابين، لا يكسر (ابن منظور، 2003، ص651)، أغالب أقاوم وأتنازع الغلبة مع غيري أو مع قوّة أقوى منّي.	فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة، والفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره أنا.
مجرى	مجرى هو المسار أو الطريق، يعني مجرى التهر القناة المحددة المعالم التي تجري فيها المياه من المنبع حتّى المصبّ، وتكون منخفضة عن الأراضي.	مفعول به منصوب، وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الألف المقصورة للتّعذر، وهو مضاف.
التهر	التهر: مجرى الماء.	مضاف إليه مجرور وعلامة جرّه الكسرة الظاهرة.

يحمل الفعل «أغالب» دلالة صراعية واضحة، إذ يكشف عن وجود مواجهة بين الذات المتكلمة وقوّة مضادة لها، فالمغالبة لا تتحقّق إلاّ في سياق صدام بين قوتين متعارضتين، ومن هذا المنطلق، لا يظهر التهر بوصفه عنصراً طبيعياً محايداً، بل يتجلّى كقوّة ماديّة جارفة تمتلك القدرة على الابتلاع والإغراق، وهو ما يجعل مغالبة مجراه أمراً مستحيلاً.

فالذات المتكلمة تواجه قوّة تتجاوز إمكاناتها، فلا تستطيع مجاراتها أو السيطرة عليها، ف (عزوز خالدي) الذي رفض أن يقوم بتفجير مقي أخيه على أساس أنّ معاهدات إفيان وقعت، والحرب انتهت، لم يضع في الحسبان أنّ هذا الرّفص سيكلفه غالياً، سيكلفه مستقبله وحاضره وماضيه، فأصبح ضحية للعنف ويجزى على النضال بالعقاب «(وبت وحداني غريب في بلاد الذيب)). سجنت، عدّبت، ونزعتُ ألعاماً، كوّوا ظهري ونجوت» (خطيبي، 2025، صفحة 183) وهو ما أحدث تراجع لحضور الذات وانكسارها أمام سطوة هذا المجرى الجارف، بما يوحي بحالة من العجز والضعف الداخلي، ولهذا تمّ استتار الفاعل.

تدرك الشخصية، منذ اللحظة الأولى، أنّ محاولة مغالبة المجرى تنطوي على احتمال الهزيمة «تلاست مع الرفاق القدامى بسببه، وأنا أعرف أنّ اللسان يجرّ صاحبه إلى ندامة، فحكموا عليّ بالخيانة» (خطيبي، 2025، صفحة 157) ومنعت عنه جميع حقوقه.

يتولّد داخل النصّ توتّر دائم بين إرادة البقاء وخطر الانجراف. وبهذا يتحوّل الصّراع من مواجهة خارجية مع النّهر إلى حرب داخلية تعيشها الدّات في كلّ لحظة، فهي تعيش صراعا بين حقيقتها، وما اهتمت به من عار، وهو ما جعلها تحاول الانتحار، وتتمنّى لو أنّها لم تقف في وجه التّيّار «عارضت تفجير مقهاه كي لا أخسره، لكنّه هاجر وقطع صلته بي. تصدّيت لرفاقي القدامى، فنزعوا عنيّ كنيّتي ((كردادة)) وانقلبوا عليّ. هل كانت حياتي ستسير على أطف حال لو أنّي امتثلت لأمرهم، ولم أغالب مجرى النهر؟» (خطيب، 2025، صفحة 270)، فهذا العنوان لا يضع القارئ أمام عقل يتأمّل، بل أمام جسد يقاوم ويصارع من أجل النجاة.

2.5 العنف والتّصاعد الدّرامي للأحداث:

تناول رواية أغالب مجرى النّهر فترة ما قبل العشريّة السّوداء، هذه الفترة الحسّاسة التي مهّدت إلى انفلات أمنيّ خطير دام عشريّة كاملة، كان العنف في هذه المرحلة كالورم الخبيث الذي بدأ في نخر المجتمع الجزائري من الدّاخل، وأخباره تلوّنت بها الصّحف «امرأة تخنق رضيعها وتحاول الانتحار... تفكيك عصابة أشرار كانت تسيطر على حيّ سكّنيّ وتهدّد المارة بسواطير... اختطاف مدير مصنع وتحريّات تجارية... نبش قبور وقطع أيدي جثث في مدينة ساحليّة... طفلان في الحادية عشرة من عمرهما يقتلان زميلهما في المدرسة بقضيب من حديد» (خطيب، 2025، صفحة 36).

العنف في الرواية عنصراً محورياً متشعباً ، حيث ترتبط كلّ التّحوّلات في مسار الشّخصيّات والصّراعات بالعنف، سواء كان مادياً أو معنوياً، فالحدث الرّئيسيّ في الرواية هو جريمة قتل التي طالت (مخلوف تومي)، «زوجك تسمّم... قبل أن تنقلب سيّارته» (خطيب، 2025، صفحة 15)، هذه الجريمة التي أصبحت كلّ الشّخصيّات متهمّة فيها، وفي الوقت ذاته كشفت الجزء المظلم لكلّ شخصيّة من الشّخصيّات، فعلى سبيل المثال (مخلوف تومي) الطّبيب، مغتصب ومنتك لحرمّة الأموات، أمّا زوجته طبيبة العيون (عقيلة) هي شريكته في انتهاك حرمة الأموات وسرقة قريباتهم «كلّ القرنيّات التي أقتلعتها، أزرعها في عيون مرضى، مثل من يزرع محبة في قلوب معتلّة، فتعيد إليهم الأبصار، بعد أن يقبض زوجي ثلاثة أرباع ثمنها. ولا غرو في أن صرت أشهر طبيبة في بوسعادة، فمنّ المرضى من يعرض عليّ سبائك ذهب كي أدبّر له قرنيّة» (خطيب، 2025، صفحة 17).

أمّا (ميلود) كذلك سبق أن سرق كلّية وسُجن بسببها، وأطلق سراحه بعد أن أثبتت براءته، لكن يبقى يمارس عنفه المادي ضدّ أخته (عقيلة) بسرقة عيادتها «حكّت لي أن ابني كان يختلس أغراضاً من عيادة عقيلة، يبيعها ويسلّم المال إلى الياقوت، كي تدفع ثمن حاجيّات ريمة» (خطيب، 2025، صفحة 251).

(ريمة) الفتاة اليتيمة التي فرّت من أبيها المتحرّش، لتقع بين مخالب (مخلوف تومي) وتحمل منه، وهو ما أحدث ثورة عند والدها الحقيقي (ميلود)، وحدثت مواجهة عنيفة بينهما «أدرك أنّي لن أخرج قبل أن أنال ثأري، فبادرني بلكمة نحو وجهي أفلت منها، لكنّه لم يفلت من لكمّتي نحو صدره تشابكنا بين حيّطان المشرحة الباردة، وأنا أترقب اللّحظة التي أطبق فيها يديّ على عنقه. وعندما لم يتسنّ لي مبتغاي، أمسكت مبضعاً ونويّت أن أثقب وجهه، لكنّه أخاف وأصابت الضّربة يده، ارتفع صوته عندما ركلته على بطنه، وخشيت أن يدخل أحدهم ويراني بصدد الإجهاز عليه فأجلّت أمره» (خطيب، 2025، صفحة 275)

(شهلة البرق) المناضلة في صفوف جيش التحرير عَنَفَتْ كُلَّ مَنْ شَكَّتْ في أَنَّهُم وشوا بها أيام الاستعمار، فلم يسلم منها حتَّى رفقاء النضال الذين أَلصقت بهم صفة الخيانة، ك (عزوز الخالدي)، ووصل بها الأمر لطمس عين أحدهم «سجنته شهلة البرق وعدَّبتَه، كوت ظهره وعورت عينه، ثمَّ أطلقت سراحه، بعدما تيقَّنت أَنَّهُ لَمْ يَشِ بها» (خطيبي، 2025، صفحة 218).

فالعنف في بناء الرواية لعب دورًا محوريًا في تصعيد الأحداث، إذ أَنَّهُ ليس عنصرًا ثابتًا، بل يتطوَّر مع الشَّخصيات، فكلَّ شخصيَّة في الرواية تعيش عنفًا معيَّنًا، فتعَنَّف أو تعنَّف، مما يخلق صراعات متشابكة بينها ويكشف عن أعماق الشَّخصيات ودوافعها، ويجعل الصِّراع الدرامي أكثر تعقيدًا وعمقًا.

5. أنواع العنف وأشكاله في رواية أغالب مجرى التَّهر:

1.6 العنف ضدَّ الذات:

تركت تهمة الخيانة على (عزوز خالدي) أثرا نفسيا بليغا، أدخلته في دوامة اليأس، وجعلته يفكر في وضع حدِّ لحياته، فالانتحار «هو قبل كلِّ شيء، فعل ناجم من اليأس يقوم به شخص لم يعد متعلقًا بالحياة» (كايم، 2011، صفحة 10)، وإنَّ كانت هذه المحاولة لم تنجُ «لم أطق آنذاك شماتة الرفاق القدامى ونظراتهم المحتقرة لي. فكَّرتُ في الانتحار بقطع الشرايين معصبي، لكنَّ شجاعتي لم تُسعفني، وخَلَّفت جرحًا ظاهرًا للعين. عندما سألتني عنه ابنتي، ادَّعيتُ قائلًا: ((مخلفات الحرب العالمية))» (خطيبي، 2025، صفحة 178)، فالعنف المسلَّط ضده جعله يفكر في تعنيف ذاته.

2.6 العنف الأسري:

يقوم على ممارسة أشكال متعدِّدة من الإيذاء داخل المحيط العائليّ، سواء كان هذا الإيذاء جسديًا أو نفسيًا أو لفظيًا أو رمزيًا، وهو الأكثر انتشارًا في الرواية، فكان من الأمِّ لفظيًا «وهي ترفع سبَّابها إلى السَّماء: ((يا ربَّ يجيني خبرك مدهوسة بسيارة))» (خطيبي، 2025، صفحة 19)، وإن كان هذا العنف لا يترك أثرًا ماديًا، إلَّا أنَّ له أثر نفسيًا عميقًا.

من أشدَّ مظاهر هذا العنف قسوةً حين يظهر في صورة العنف الجسديّ ويكون المعنف أحد الوالدين الأمِّ «...حدثني عن جَنَّتِي طفلين وصلا إلى مكان عمله، بعدما خنقتهما أمُّهما فشعرت بالتواء في معدتي.

((أرادت استخدام يديهما في وصفات شعوذة))، قال «(خطيبي، 2025، صفحة 213)، أو الأب «حين اكتشف أمر تغيبني كاد يقتلني، بعدما هوى عليَّ بعضا خيزُران مثل مؤمن يهوي على شيطان» (خطيبي، 2025، صفحة 70)، فيتحوَّل الوالدان من مصدر حماية إلى مصدر تعنيف وهو ما يضاعف جرعات الألم النفسي والجسدي.

تتعرَّض العديد من النِّساء لأشكال مختلفة من العنف الجسديّ والنفسي داخل الأسرة، ويُعدَّ هذا العنف سلوكًا قائمًا على التسلُّط واستعمال القوَّة بهدف الإهانة أو السيطرة كتعنيف الأبناء للأمهات «تبين بعد التَّشريح أَنَّها ماتت خنقًا لا انتحارًا بعدما عاينت الشرطه آثار أصفاد على معصمها، وعقب التَّحقيق أقرَّ ابنها، الذي بلغ العشرين، بفعلته ((كانت تدير فعائل ما يرضاه ربي ولا العبد))» (خطيبي، 2025، صفحة 61).

العنف الأسريّ الواقع على الزوجة يظهر خلال العديد من الاعتداءات المؤلمة «وكذلك عن سيّدة في الخمسين أذاقها زوجها طعنات في الصدر والدّراعين بعدد سنيّ عمرها، بسكين طولها 18 سنتمترًا: ((أنهى حقه عليها بأن ضاجع جثتها))» (خطيبي، 2025، صفحة 61)، فأَيّ حقد هذا الذي يستبيح جسد امرأة، وينتهك حرمة ميّت. كثيرا ما يكون العنف اللفظيّ ممهدًا للعنف الجسديّ «... عاد إلى معايرتي لأنني لم أنجب ذكرا. لم أجادله في الأمر، (...) انشغلت في ترتيب الأواني، فعاب عليّ تأخري في ترتيب غرفة الجلوس ووصفني بالخزيرة. ((الخزيرة لا تتزوج إلا خزيرًا))!

ما كدت أنهي ردّي حتى رأيتُ نجومًا تملأ بصري. استفتقتُ منها في المستشفى، الذي لم يعيدوا طليّ حيطانه منذ زمن جمال عبد الناصر، مع مشقّة في تحريك ذراعي اليمنى. وصف لي طبيب راحة لمدة ثلاثة أيّام» (خطيبي، 2025، صفحة 88).

لم تشفع المكانة الاجتماعية لـ (عقيلة) عند زوجها، فهي طبيبة وجراحة عيون ماهرة، لكنّ زوجها لا يراها إلا مفرغة لغرائزه وكبته وغضبه «هو يعلم أنّ مخلوف كان يُفرغ دلو غضبه بإدماء أنفي أو البصق في وجهي. كان يعاملني مثل وباء» (خطيبي، 2025، صفحة 116)، فحالها كحال أغلب النساء استحلّ أزواجهنّ جسدهنّ، ودماهنّ «هذه المرّة السادسة التي يقتل فيها رجل زوجته، منذ مطلع العام. من يعجز عن الانتصاب يقتل زوجته، من يرتبط بعشيقته يقتل زوجته، من يطلق يقتل زوجته، من يفقد عمله يقتل زوجته، من يتشاجر مع جاره يقتل زوجته، من يخسر في القمار يقتل زوجته» (خطيبي، 2025، الصفحات 61-62)، فأسباب التعنيف تبقى أسباب واهية مقابل الجرم المرتكب.

الأخت لم تسلم هي الأخرى من العنف الأسري «قصة مراهقة في سابعة عشرة من عمرها، باغتها أخوها الأكبر وهي تواعد حبيبها في بيت مهجور، فانتهى أمرها بصخرة دقّ بها رأسها» (خطيبي، 2025، صفحة 62). غالبًا ما يقابل الفعل العنيف بردّ فعلٍ أشدّ حدّةً وعنفًا، حينما يصبح المعتف غير قادر على الاحتمال والصبر «...سميرقليش راح ضحيّة أخته وأمه، اللتين خنقته وهو نائم: كان يعتدي عليهما ضربًا، قال.

- ثمّ تخلصنا من جثته من الطابق الخامس» (خطيبي، 2025، صفحة 142). وهو حال الزوجة التي قتلت زوجها، رغم تعلّقها به فهي لم تتقبّل الصدمة «قضيت ليلة البارحة وأنا أفكر فيه، رغم صرخات امرأة في محبسٍ مجاور تصيح باسم أحدهم: ((الهلل)). أخبرها أنّ الرجل المقصود هو زوج تلك المرأة.

- هل مات؟

- بل قتلته.

فازداد اهتزاز ركبتهما» (خطيبي، 2025، صفحة 74).

3.6 العنف الاجتماعي:

يُعدّ العنف الاجتماعي من الظواهر الخطيرة التي تهدّد استقرار المجتمعات وتماسكها، إذ يتجلى في مختلف السلوكات والممارسات التي تقوم على الإيذاء أو الإقصاء أو التسلّط بين الأفراد والجماعات. ولا يقتصر على العنف الجسديّ فقط، بل يشمل كذلك العنف النفسيّ واللفظيّ والرّمزيّ، يتغذّى من منابع متعدّدة كالفقير والتهميش، فيُفضي إلى تصدّعات عميقة في النسيج الاجتماعيّ.

تتولّد البذور الأولى للعنف في مرحلة الطفولة نتيجة لعوامل مثل البيئة أو التعرّض للعنف، أو نقص التوجيه والتربية، وهو ما ينعكس على سلوكياتهم مع باقي المخلوقات، خاصّة الضّعيفة منها كالأطفال أو الحيوانات «يتسلّى ساعات الفراغ بقطع أذنان قطط أو كلاب ضالة أو فقاء أعينها. ثم تفاقت مشاجراته مع أقرانه، فدخل السّجن القصر بعدما كاد يكسّر جمجمة أحدهم بحجر» (خطيبي، 2025، صفحة 271)، ف (ثامر) عاش طفولة بائسة يتيم، وأخ معاق، عاش في الشّارع دون مأوى ولا سند، وهو ما أثر على نشأته السّليمة.

لم تسلّم الحيوانات، تلك الكائنات العاجزة عن الدّفاع عن نفسها، من بطش بعض المسؤولين الذين أخفقوا في تسيير شؤون بلدياتهم وتدير أمورهما، فلم يجدوا ما يُثبتون به وجودهم ويُعلنون به سلطتهم إلّا التّنكيل بها «بدلاً من أن يلقّحوا الكلاب الضّالة، يقوم عمّال البلدية بقتلها رمياً بالرّصاص، ثم يدفنونها في حفرة» (خطيبي، 2025، صفحة 76).

يتشكّل العنف الاجتماعي في شكل عنف لفظيّ، من الأعلى سلطة في العمل أحياناً لفرض الهيمنة «التحق بالمستشفى، ولأنّه لا واسطة له ولا معارف، تقبّل شتائم المدير الذي يعامل الممرّضين مثل المساجين. كان يصل اللّيل بالنّهار، وفي أحيانٍ ينام جنب المرضى؛ فالعمل أثنى شيءٍ في حياته» (خطيبي، 2025، صفحة 206)، وهو ما يخلق توتراً داخل محيط العمل.

أما العنف الجنسيّ المرتكب ضدّ الطفل، يترك آثاراً نفسيّة عميقة تؤثر في حياته مستقبلاً، ويجعله ينفر من المكان الذي حدث فيه الفعل «خجلت من مصارحته بأنّ المعلّم يصفع مؤخرتي أمام زملائي فيسرخون منّي، كلّما عجزت عن نطق حرفٍ بشكّل سليم، وبعد أن تهدأ فورته يلامس صدريّ ويسألني ضاحكاً: ((متى ينبت لك نهدان))» (خطيبي، 2025، صفحة 70)، فالمعلّم في الأصل حارسُ البراءة وراعي النّشء، أمانةً وضعها المجتمع بين يديه ليُشكّل العقول ويحمي الأرواح. غير أنّ المعلّم الذي يتحرّش بتلميذته لا يكسّر ثقةً فحسب، بل يهدم القيمة الأسى التي قامت عليها العلاقة التّربويّة.

لا يوجد اعتداءً أشدّ وطأةً على النّفس البشريّة من ذلك الذي يمسّ كرامة الجسد وحرّمته، إذ يسرق من الضّحيّة إحساسها بالأمان في عالمها الخاصّ»

- هو طبيب

- طبيب ويعتدي على الأولاد في جمعيّة الأيتام!

- أنت هيلت؟» (خطيبي، 2025، صفحة 199).

هذا المشهد الحواريّ الذي دار بين (ثامر) و(عزوز خالدي) يكشف عمق الأزمة الاجتماعية التي تعيشها مجتمعاتنا، أنّ ضحايا هذا العنف لم يكونوا سوى أيتام وأطفال، أي الفئة الأكثر هشاشة والأشدّ حاجةً إلى الحماية والرعاية، وتبلغ المفارقة أشدّ درجاتها حين يكون المعتدي طبيباً، وهو المؤتمن بحكم مهنته ورسالته الإنسانية على صون الجسد والروح، إنّ في ذلك دلالة بالغة على أنّ الخلل لا يمسّ فئة بعينها، بل إنّهُ تسرّب إلى منظومة القيم في عمقها، حتّى باتت أنبل المهين وأرفعها ستاراً يختبئ خلفه من يدّعي المساعدة ويُمارس العنف.

تظهر أشكال العنف الاجتماعي في سلوكيات انتقاميّة، تستهدف أشخاصاً رفضوا الانصياع لرغبات معتديهم، كما في حالة فتاة تعرّضت للحرق بسبب رفضها الزواج من كهل «فتاة أخرى في أوائل العشرينيات: ((وصلت إلى المستشفى محترقةً بالكامل. بعدما ترصّدها كهل رفضت الزواج منه. تعقّبها بسيارته إلى زقاقٍ غير مأهول، وقام بفعلته))» (خطيب، 2025، صفحة 62).

4.6 العنف السياسي:

خاضت الجزائر في تاريخها العديد من الحروب، كان أعنفها الحرب ضدّ المستعمر، الذي أحرق الأرض وانتهك العرض، فكان لزاماً الرّدّ بالمثل، فما أخذ بالقوّة لا يُردّ إلّا بها « في اليوم الأوّل من الحرب الذي صادف الأوّل من نوفمبر وكان يوم إجازة، والترمومتر يشير إلى 25 درجة، لأنّ الشّتاء يتأخّر في الوصول، قطعنا توصيلات الهاتف، منتهزين خلوّ الشوارع من المارة، فقد احتشد الفرنسيون في جامع النّصارى، احتفالاً بعيد جميع القديسين، ثمّ أحرقنا حافلة وكتبنا شعاراتٍ على الحيطان تدعو إلى الاستقلال» (خطيب، 2025، صفحة 156).

تتواصل الأعمال الجهاديّة والجميع شارك، فهناك من حمل السلاح ومنهم من كان يصنعه «وصلت عملي في العلن، أبيع وأشتري قطع غيار المركبات، وسراً أصنع متفجرات.» (خطيب، 2025، صفحة 156).

فالثورة في بدايتها كانت تحمل حلمًا جماعياً يوحد الجميع، غير أنّها ما لبثت أن انقسمت إلى تيارين متخاصمين، «لكنّ الوضع لم يلبث عن انفجر. وبدلاً من أن نتصدّى للفرنسيين، انقسمنا إلى كتيبتين تقاتل إحداها الأخرى. واصلت عملي في جبهة التحرير إلى أن التمس منّي رفاقي متفجرات، غداة اتفاقيات إيفيان التي أنهت الحرب، قصد تفخيخ مقهى أخي فاحتججْتُ.» (خطيب، 2025، ص 157)، حوّل رفض الأوامر إلى تهمة ألصقت به (عزوز) صفة الخائن لمجرّد رفضه الانصياع لما اعتبره انحراقاً عن الهدف الحقيقي، ولم يكن وحده بل كلّ صوتٍ معارض يُواجه بتهمة الخيانة «اجتمعت بزملائي؛ أولئك الذين غدرت بهم الحياة، بعد ما كانوا مناضلين، ألصقت بهم كذلك تهمة الحركي. بعضهم لأنهم كانوا على صلةٍ مع حزبٍ يُعادي جبهة التحرير، وآخرون لأنهم اختلفوا مع رفاقي لهم في الرّأي، كما حصل معي، وغيرهم ممّن شكّ في خيانتهم من غير قرينة» (خطيب، 2025، صفحة 165).

لم تتوقّف معاناتهم عند حدود الاتهام، بل امتدّت إلى التعذيب والإهانة، حيث صاروا يدفعون ثمن مواقفهم وجعاً وقهراً، فاجتمع عليهم ظلم الاتهام وقسوة العقاب من رفقاء النضال «بعد الاستقلال، عندما عدتُ من نزع الألغام على الحدود مع تونس، شاركت رفاقي القدامى في تسويطي وتغريقي في حوض ماء، ثمّ صبغني بالكهرباء» (خطيب، 2025، صفحة 214)، وفي أبشع صورة للعذاب الجسديّ الذي قاموا به رفقاء النضال كيّة العار «دخل رجل ضخم مثل خزانة ذات مصراعين، ملثم الوجه. اقتدى بأوامرها وكوى ظهري. شعرتُ بلهيبٍ يسري

في جسدي وأنا أنادي أمي أن تقوم من قبرها وتُغيثني، حتى فقدت أنفاسي وأُغي عليّ» (خطيبي، 2025، صفحة 215).

5.6 التّطَرّف:

يقود التّطَرّف للخروج عن جادة الاعتدال، وانغلاقاً داخل دائرة من التّعصّب ترفض الحوار، تسعى لفرض فكرها بالقوّة ولا تحترم حرّيّة الآخر «إلى أن بلغت محلّ ((حلويات الهناء))، المغلق منذ أن أشعل فيه غاضبون ناراً لأنّه عرض حلوى رأس العام ((تشبّهًا بغير المسلمين))، كما قالوا» (خطيبي، 2025، الصفحات 286-287)، فالمتطَرّف لا يؤمن إلّا بفكرٍ واحد، ورأيٍ واحد، لذلك يتحوّل الاختلاف عنده إلى عداوة، والحوار إلى صراع، فيغدو العنفُ في نظره سلاحاً يَشقُّ به طريقَ أفكاره، ووسيلةً يفرضُ بها سلطته «قبل أن أجنب المتحف الذي لا يزال موصد الباب منذ أن اقتحمه ملثمون لقد حطّموا التّمائيل من رخام وأضرّموا ناراً التهمت لوحات تصوّر نساء عاريات كما احرقوا مكتب المدير بأثاثه وورقه ثمّ نهبوا مقتنيات ورحلت أتمتم اللي يوجعه رأسه يحرق البلاد» (خطيبي، 2025، صفحة 87).

يَتَصَدَّرُ المتطَرّفُ المشهَدَ بزيّ المصلح الاجتماعي، مُتَسَتِّراً خلف خطابٍ يُوهم بالإصلاح «...صار ملثّون، يمتطون درّاجات ناريّة، يهجمون على من تكشف عن ساقها بالحمض أو بمشرط على من ترتدي ثوباً ضيقاً، ثم يعلّقون ملصقات على الشيطان، تحذّر من ((فساد الأخلاق)) كما يقولون» (خطيبي، 2025، صفحة 212)، بينما يحمل في داخله نزعةً إلى الفرض والإقصاء ونهب «نجت ياقوت والعاملات في بيتها، من خناجر وعصيّ ملثّمين بأجسامٍ ضخمةٍ مثل ثيران مصارعة. هجموا على بيتها في اللّيلة السّابقة، بعدما تسلّلوا من النّافذة، عقب اقتلاع حاجزها. شتموهنّ بالكلمات كلّها ونعتوهنّ بأقبح الصّفات، ثمّ أhalوهنّ إلى أسوء ذكرى في حياتهنّ.» (خطيبي، 2025، صفحة 227)، لم يكتفوا بالتّخويف والعنف اللفظي بل تجاوزوه إلى العنف الجسديّ «((طردوا الرّبائن، بعد صفعهم ولكمهم واحداً تلو الآخر وسلمهم مالهم، ثمّ تكفّلوا بأمر النّسوة))، قالت لي بفلّ سفليّ يرتجف، بينما يدها اليسرى ترتعد، وهي تمسك بخنصرها الأيمن، الذي بصق عليه أحد المعتدين لاستلال خاتمها، بعدما هدّدها بقطع الإصبع إذا تعدّرت عليه سلب غنيمته.

ركلوا البنات على بطونهنّ، غير مباليين بتوسلاتهنّ، ومن سقطت منهنّ أرضاً داسوا ظهرها أو وجهها بأرجلهم، أو جرجروها من شعرها. ((جرّدوهنّ من حلّهنّ))، أضافت.» (خطيبي، 2025، صفحة 227)، لزيداد وحشيت الاعتداء «...وشموا خطوطاً على نهْد إحداهنّ بشفرة حلاقة. من توسّلت عطفهم طرّقوا الحائط برأسها، إلى أن تطاير دمها، توعّدوا بدفنهنّ حيّاتٍ، مثلما توعّدوا بحرق البيت، في حال عدنّ إلى ممارسة عملهنّ» (خطيبي، 2025، صفحة 227) لم تسلم حتى النباتات «بعثروا كلّ ما احتوته الخزائن من ثيابٍ ووطأوا بأقدامهم أغراض زينتهنّ في الحَمّام. حطّموا الصّحون والكؤوس في المطبخ، ولم تسلم منهم أصص النّباتات في الحوش، التي قذفوها بأرجلهم» (خطيبي، 2025، صفحة 227).

6.6 العنف الهيكلي:

عانى المواطن الجزائري التهميش والعنصرية إبان فترة الاستعمار الفرنسيّ، هو ما انعكس بالسلب على حياته، فحرم التعليم وعاش الفقر والجوع، وما (عزوز خالدي) إلّا صورة لمعاناة الأطفال الصغار في تلك المرحلة، فقد هجر مقاعد الدراسة في سنّ مبكرة، شاقاً طريقه للعمل «اشتغلت ماسحاً للأحذية بعدما تركت التعليم، خلاف ما تمنّاه لي إميل. فالجوع جعلني أخفض رأسي أمام أقدام ذوي المال وأحسدهم على ما ينتعلون. وأنا أحزم سروالي بخيط بعدما سقط زرّه، وفي الليل كنتُ أتوسّد نعلي على رصيفٍ أو تحت عريش. ((وحداني غريب في بلاد الذيب)) هكذا كنت أصف حالي» (خطيب، 2025، صفحة 151)، لتزداد شقاوة العمل أكثر عليه بانتقاله للعاصمة «فركبتُ القطار وصرّت عتلاً في مينائها، في شحن البواخر وتفريغها، من الرابعة صباحاً حتّى الثانية ظهراً. أستروجهي بوشاح أيام البرد، وتصفع الشمس ظهري أيام الحرّ، وأنام ليلاً في غرفة لا تتعدّى مساحتها أربع خطواتٍ بأربع، مع عتالين آخرين» (خطيب، 2025، صفحة 152).

لم يتغير الحال بعد الاستقلال وبقي الفقري نهش الناس «لكنني أعيش في مدينة ليس فيها بياطرة، بل إنّ أناسها لا يقصدون طبيباً سوى في الحالات القصوى، ويداوون أنفسهم بالأعشاب والأدعية، لأنّ جيوبهم مثقوبة فلا يجرؤون على دخول صيدلية» (خطيب، 2025، صفحة 73).

6. الخاتمة:

في الختام نستنتج أنّ العنف متجذّر في الرواية من أول بوابة لنصّ العنوان- الذي عكس العنف بشكل واضح، كما لعب العنف دوراً بارزاً في تصعيد الأحداث وتعميق البعد الدرامي، إذ كشف التحوّلات النفسيّة والاجتماعيّة للشخصيات وأبرز هشاشة الواقع الذي تتحرّك داخله، كما تنوّع العنف في الرواية فكان العنف ضدّ الذات، العنف الأسريّ، العنف الاجتماعيّ، العنف السياسيّ، التّطرف، العنف الهيكليّ، ويندرج تحت كلّ نوع أشكال مختلفة كالجسديّ والمعنويّ... الخ، فالعنف تحوّل إلى أداة فنيّة ودلاليّة عبّرت عن قسوة الواقع الإنسانيّ وما يعتريه من صراع وألم، ممّا منح الرواية بعداً أكثر تأثيراً وعمقاً.

7. قائمة المصادر والمراجع

الكتب:

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، 2003، *لسان العرب*، لبنان، المجلد الخامس عشر، دار صادر.

أحمد فؤاد، عاطف، 1988، *الحرية والفكر السياسي المصري*، مصر، دار الكتاب العربي.

بورديو، بيير، 1994، *العنف الرمزي - بحث في أصول علم الاجتماع التربوي* - ترجمة نظير جاهل، ط1، لبنان، المغرب، المركز الثقافي العربي.

حبيلة، الشريف، 2010، *الرواية والعنف-دراسة سوسيونصية في الرواية الجزائرية المعاصرة*، ط1، الأردن، عالم الكتب الحديث.

خطيبي، سعيد، 2025، *أغالب مجرى النهر*، نوفل، لبنان.

خوالدة، محمود عبد الله، 2005، *علم النفس الإرهاب*، عمان، دار الشروق.

دور كايم، إميل، 2011، *الانتحار*، ترجمة: حسن عودة، دمشق، سورية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب. صليبيا، جميل، 1982، *المعجم الفلسفي ألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية*، لبنان، دار الكتاب اللبناني، ج.2.

لالاند، أندريه، 2001، *موسوعة لالاند الفلسفية*، ترجمة خليل أحمد خليل، أحمد عويدات، بيروت، لبنان، منشورات عويدات.

المقال:

جواد رضا، محمد، 1974، *ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة - تفسير سوسيوسيكولوجي*، مجلة عالم الفكر، العدد 3، أكتوبر، منشورات وزارة الإعلام، الكويت، ص 147، 175 رابط

<https://search.mandumah.com/Record/672195>

حمداوي، جميل، 1997، *السيميوطيقا والعنونة*، مجلة عالم الفكر، العدد 3-يناير، الكويت، المجلد 25، ص 90

<https://search.mandumah.com/Record/215947>، 96، رابط